المقتطف والتوليد الذاتيّ

نبذة انتقادية للاب لويس شيخو اليسوعي

رأيتُ في مقالة حضرة الاب طوران عن المواليد الحيوانيَّة في ارضنا انَّ كل مساعي دروين وانصاره في اثبات التوليد الذاتي لم تجدهم نفعاً فرجعوا بخفَّي حنين. ويريدون بهذا التوليد انَّ الحيوان يتولَّد من ذاته منتقلاً من طور الجماد الى طور الاحياء دون زوع سابق. وكنَّا قبلاً ادرجنا مقالات أخرى لا تدع في الامر شبهةً. منها مقالة الاب هرنو في النابغة لويس پاستور واكتشافاته (المشرق ١٤ [١٩١١]: ٥١—٥٧) ومقالة الاديب منصور افندي سردار في اصل الحياة (المشرق ١٦ [١٩١٣]: ٥٣٨—٥٤٥) وكذلك نشرنا (ص ٣٠٠) ما اقرَّ به دروين عن ضعف مذهبه للاستاذ الفرنسوي المسيو فابر بعد اكتشافاته الغريبة عن تناسل الحيوانات

على انَّ انصار دروين لم يكتفوا بأن يؤكدوا دون برهان تحوُّل الجماد الى الحيّ في اطوار الارض الاولى لكنَّهم زعموا ايضاً ان هذا التحوُّل مستطاع في عهدنا بالعوامل الكيماويَّة. وكنَّا ختمنَّا بعد الاختبارات المتعدِّدة التي الحم بها العلامة پاستور انصار التوليد الذاتي انَّهم يذعنون الى الحق الظاهر لكنَّهم أبوا الَّا الانكار وغايتهم من ذلك كما هو واضح جحود وجود الخالق واستغناء العالم عنهُ في اطوار المخلوقات (١

وممَّن تشبَّثوا بهذا التعليم مجلَّة المقتطف التي نشرت في هذا العام عدَّة مقالات لتأييد زعمها منها مقالتان للدكتور نقولا حدَّاد ثمَّ عادت في عددها الاخير (حزيران ١٩١٤) ونقلت اختبارات الدكتور الانكليزيّ باستيان (M. Bastian) الذي ادَّعى انهُ توصَّل الى اكتشاف التوليد الذاتي بواسطة محلول طرطرات الامونياك (tartrate d'ammoniaque) فيقول انَّهُ جعل ذاك المحلول في زجاجات عقَّمها بعد احمائها الى درجات من الحرارة تُربي على المئة وسدَّها سدًّا محكماً وانَّهُ فتحها بعد ثمانية او تسعة

---

١) ولا حاجة الى تنبيه القرَّاء على ثبوت حقيقة وجود الخالق حتَّى ولو صحَّ المذهب الدرويني. لأنَّ التولُّد الذاتي اذا حدث انَّما يحدث بقوَّة الخالق علَّة كل المخلوقات

اشهر فوجد فيها جراثيم حيَّة وعفونيَّات ذات خلايا تنمو وتتناسل وقد صوَّرت مجلَّة المقتطف بعض هذه الجراثيم والخلايا الحيَّة التي وجدها الدكتور باستيان

فما قولنا أيجب على العلم ان يقرّ بغلطهِ او يكون الدكتور باستيان هو المخطئ في امتحاناتهِ. وها قد قام احد تلامذة پاستور وفنَّد مزاعم باستيان ألا وهو احد علماء باريس المسيو غستون بونيه (M. Gaston Bonnier) الذي قوَّض ذاك البناء الواهي الذي شيَّدهُ المسيو باستيان بمقالة نشرها في المجلَّة الاسبوعيَّة الباريسيَّة (REVUE HEBDOMADAIRE, 28 Mars 1914) وها نحن نختصر نتائج تفنيدهِ ونحيل المقتطف واصحابهُ الى تلك الردود

(اوَّلاً) كان المسيو باستيان قبل وفاة پاستور قام لمناقضتهِ وادَّعى انهُ امكنهُ توليد أحياء من موادَّ سائلة آليَّة فلمَّا قدم في باريس على پاستور اثبت لهُ ذاك النابغة انَّهُ لم يُحسن تجاربهُ وانَّ الوسائل الآليَّة التي اعتمدها لاختباراتهِ تحتوي على جراثيم حيَّة يظهر نشوُها بعد زمان فعاد المسيو باستيان خائباً الى لندن

(ثانياً) وليست امتحانات المسيو باستيان هذه المرَّة افضل من المرَّة السابقة وان غيَّر موادَّ امتحاناتهِ وعمد الى موادَّ معدنيَّة ليبني عليها براهينهُ فانَّ في ما كتبهُ لوصف طرائق اكتشافاتهِ يثبت ضعف رأيهِ لانَّ في كلامهِ تشوُّشاً ظاهراً

(ثالثاً) انَّ العلماء الذين استشهد بهم لاثبات زعمهِ وقال انَّهُ فتح زجاجاتهِ المعقَّمة امامهم فوجدوا مثلهُ فيها جراثيم حيَّة لم يحضروا تعقيمهُ للموادِّ المودعة في الزجاجات فلا بُدَّ ان تكون جراثيم حيَّة دخلت معها بنوع ما قبل التعقيم او بعدهُ

(رابعاً) ولا يفيد المسيو باستيان قولهُ انَّ تلك الجراثيم تولَّدت بعد اشهر عديدة من تحاول طرطرات الامونياك ما يدلُّ على انَّ تولُّدها يحتاج الى طول زمان لانَّهُ قد بيَّنت الاختبارات المتوالية الثابتة ان بعض الجراثيم تبقى في جمودها زمناً طويلاً قبل ان تنشأ وتنمو

(خامساً) انَّ الصور التي اخذ المسيو باستيان رسومها بعد فتح الزجاجات فنشرها لتأييد زعمهِ تدلُّ على مزجهِ مع طرطرات الامونياك ثلاثةً في المئة من سكَّر الغلوكوز وهذه المادَّة ليست معدنيَّة محضة ومن ثمَّ لا قوَّة لبراهينهِ

(سادساً) ثمَّ انَّ اصحاب دروين وانصاره وهم يزعمون انَّ اول ما تبدو الحياة تبدو غاية في البساطة على شبه خليَّة منفردة (monère) والحال الصور التي نشرها السيو باستيان تدلُّ على انَّ الاحياء الظاهرة في زجاجاته هي كاملة البنية كثيرة القوى متعدِّدة فيها مظاهر الحياة كجراثيم اخرى مثلها وتركيبها مع دقَّتها ليس باقلَّ اشتباكاً من الحيوانات الكبيرة

(سابعاً) واغرب من ذلك انَّ تلك الفطريات التي زعم انَّها تولَّدت ذاتيًّا فوسم صورها هي كلُّها من انواع آليَّة معروفة توجد في الطبيعة او تظهر في المختبرات الكيميويَّة وهي تتوالد بنوع قانوني . فاذا ظهرت تلك المولَّدات عند فتح الزجاجات التي زعم السيو باستيان حسن تعقيمها فذلك دليل واضح على نفوذها في زجاجاته من الخارج فتدخل على الاقلّ من عدم الزجاجات بعد تعقيمها

(ثامناً) واذ شعر السيو باستيان بانَّ مزاعمهُ لا يرضى بها العلماء الاثبات تراهُ في كتاباته يدافع ببراهين نظريَّة عن التوليد الذاتي كأنَّ امرًا مثل هذا تقوى على اثباته المذاهب الفلسفيَّة قبل بيان صحَّته فعلًا في عالم الكون والاختبارات الراهنة

(تاسعاً) ومن مزاعمهِ في كتاباته انَّ تكوين هذه الاحياء المزعومة شبيه بتكوُّن التبلورات في الطبيعة وكفى بذلك دليلًا على انهُ لا يُحسن التمييز العظيم الموجود بين الاجسام الآليَّة وغير الآليَّة والفرقُ بينهما كبعد السماء عن الارض ولعلهُ يجهل ما كتبهُ في تركيب الميكروبات وخواصها العجيبة الدكتوران غلِيرمند وبينو (MM. Guilliermond et Pénau)

فهذه الملحوظات وغيرها ايضاً لا يسمح لنا المجال بذكرها تُبيِّن انَّ المقتطف واصحابهُ قبضوا على الماء وضربوا على حديد بارد وانَّ اختبارات باستور باقية في منعتها . ومن ثمَّ ترى غلط الذين ينخدعون بمقالات المقتطف في الرأي الدروين المنافي لاقوال اثبت العلماء ويظنُّون انهم يترقَّون باتِّباعهم تعليمهُ كما قالت مجلَّة المستقبل آخرًا :

وقرَّاء المقتطف الآن ارقى من كثيرين ممَّن تخرَّجوا من مدارسنا العليا . فانَّك تجد كثيرين من خريجي مدرسة الحقوق الخديويَّة لا يزالون يعتقدون بأن ابانا آدم وامنا حواء ولا تجد واحدًا من قراء المقتطف لا يعرف او لا يقدر على اثبات تسلسلنا من الحيوان

زه زه ! فان كانت مجلَّة المقتطف لم تفدنا شيئاً آخر كان ضررُها اعظم من نفعها وعدمُها خيرًا من وجودها